قمة سرت الإفريقية: الطموح المجنح

06-7-2005

محمد سعدن ولد الطالب*

قمة سرت الإفريقية جاءت في وقت أحوج ما يكون العرب فيه إلى البحث عن عمق إستراتيجي يضمن لهم الإستمرار في عالم التكتلات الكبرى، ولعل التفريط في القارة السمراء سيكون خطأ سياسيا كبيرا يرتكبه العرب في هذه الظرفية المتميزة، وهو خطأ ارتكبوه عندما غابو غيابا غير مبرر عن قمة أمريكا اللاتينية ..ولئن كانت قمة سرت قد أشبعت غرور القادة وطموح الشعوب في طرح قرارات ومشاريع هامة، فإن السؤال الصعب يبقى هل سيستطيع الأفارقة الإفلات من واقعهم والانتصار على آلاف المثبطات التي تقف في طريقهم؟

وانفض سامر القمة الإفريقية في سرت بليبيا بعد يومين متتاليين من الإجتماعات المكثفة لما يزيد على خمسين من زعماء ورؤساء حكومات دول إفريقية.

توقيت القمة، وإن كان الأمر لا يخلو من مصادفة جاء عشية انعقاد قمة الثماني الكبار في استكتلندا، وهي قمة ستكون، على الأقل كما هو معلن، حافلة بالهم الإفريقي من خلال مشروع بريطاني يهدف إلى إلغاء مجمل الديون الإفريقية وخلق تجارة عادلة تحمي الضعفاء الأفارقة من أن تلتهمهم الشركات العالمية الجشعة.

قمة سرت كانت قمة الأطروحات الكبرى بامتياز فالإتحاد الإفريقي الذي يشعر بتهميش كبير رغم عدد سكانه الهائل وجغرافيته المتسعة وخيراته التي يلتهمها الكبار بلا حساب ولاعقاب قد قرر في هذه القمة أن يتجاوز كل التشجنات البينية وأن يضمن أن تحظى إفريقيا بممثلين إثنين في مجلس الأمن الدولي لهما كافة الصلاحيات بما فيها حق الفيتو، وخمسة مقاعد غير دائمة عل ذلك يسهم في أن لا تكون إفريقيا ضحية قرارت يتخذها الآخرون ويجبروا هم على الإلتزام بها باسم الشرعية الدولية.

ولئن كان المطلب الإفريقي مشروعا ومنطقيا في حق قارة بحجم السمراء المنسية، فإن قراءة الواقع تقول باستحالة ذلك في ظل تنافس محموم بين دول كبرى لها مكانتها وثقلها تسعى إلى حجز مقعد في كابينة قيادة العالم(مجلس الإمن)، وأكثر من ذلك فإن الأفارقة حتى وإن بدوا في قمتهم متفقين على كل شيئ فإن قلوبهم شتى خصوصا في موضوع حاسم كالإنضمام إلى مجلس الأمن، فهناك أكثر من دولة إفريقية أعلنت اعتزامها دخول حلبة السباق، فمصر تعتبر نفسها الأحق بالمقعد بحكم كونها أكبردولة عربية ومن أكبر الدول الأفريقية وأكثرها حضورا على المسرح السياسي الدولي، أما

نيجيريا فتؤمن لحد العقيدة أن نفطها المتدفق وعدد سكانها الأكبر في إفريقيا يجعل منها المرشح المناسب، والجزائر بطموحها الجارف والحضور القوي لدبلوماسيتها في كل المناسبات الدولية لاتخفي أبدا رغبتها في نيل هذا التشريف، أما ليبيا محتضنة القمة وصاحبة الحضور الإفريقي القوي فتعتبر أن عضوية المجلس تكريم طبيعي لها يرضي طموحها السياسي الجارف، فمن —يا ترى- يتنازل لمن؟

بالإضافة إلى موضوع التمثيل في مجلس الأمن فقد حفلت قمة سرت بمواضيع أخرى لاتقل أهمية حيث أعلن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان عن إنشاء صندوق دعم الديمقراطية في إفريقيا، وهي مبادرة يشكك الكثيرون في أنها نابعة من قناعات(المحفل الدولي)، خاصة إذا تذكرنا أنها تأتي في سياق التوجه الأمريكي المعلن في التبشير بعهد جديد من الديمقراطية والحرية والتخلي عن الأنظمة الدكتاتورية.

قمة الثمانية الكبار كانت حاضرة بقوة في أذهان الزعماء الأفارقة فقد أعدوا جملة من التوصيات لعرضها على القادة الكبار تتعلق كلها بالمطالبة بإلغاء الديون والمساعدة في جهود التنمية، ولئن كان الزعيم الليبي قد حث نظرائه على عدم استجداء الغرب، فيبدو أنه كان في آذانهم وقر مما يقول، فنداء المعدة الخاوية أحيانا ينتصر على صرخات المبدأ!!!!!!!!!!

لم تخل القمة من بعض المشاريع والأحلام التي لايشجع الواقع على التنبؤ بحدوثها على الأقل في المستقبل القريب، مثل إنشاء جيش إفريقي وإصدار جواز سفر إفريقي موحد، أحلام ربما تكون مستوحاة من تجارب الآخرين، ولكن العقبة الكبرى تبقى أننا أمام جسد إفريقي مثخن بالخلافات والنزاعات ومجندل بالدماء التي غالبا ما يكون الإخوة الأعداء هم السبب في إسالتها.

دعوة مصر لإنشاء مركز لدراسات الآيدز، ربما تكون الأكثر تلمسا لواقع عشرات الملايين من الأفارقة الذين يسري هذا الداء اللعين في أوصالهم، أو أولئك الذين ينتظرون موعدهم معه بعد تعرضهم للفيروس المسبب.

الآيدز أصبح جحيما يحرق في أتونه ملايين الأفارقة المصطلين أصلا بنار الفقر والتهميش والحروب الأهلية التي سرت في الفضاء الإفريقي وخلفت آلاف البقع المشتعلة من ساحل العاج إلى دارفور، ولكن المشكلة أن الأيدز ليس إلا نتيجة حتمية لسلسلة معقدة من الإختلالات السياسية والأخلاقية والإجتماعية التي تتخبط فيها القارة بسبب عقود طويلة من حكم الأحذية الخشنة التي كتمت على أنفاس الجميع وحولت الرشاش والدم طريقا للسلطة بدل الحبر اللاصق وبطاقة التصويت.

قمة سرت الإفريقية جاءت في وقت أحوج ما يكون العرب فيه إلى البحث عن عمق إستراتيجي يضمن لهم الإستمرار في عالم التكتلات الكبرى، ولعل التفريط في القارة السمراء سيكون خطأ سياسيا كبيرا يرتكبه العرب في هذه الظرفية المتميزة، وهو خطأ ارتكبوه عندما غابو غيابا غير مبرر عن قمة أمريكا اللاتينية التي انعقدت قبل أشهر والتي

كانت فرصة تاريخية للعرب للالتحام مع مجموعة دول تشترك معهم على الأقل في(العالم ثالثية).

لئن كانت قمة سرت قد أشبعت غرور القادة وطموح الشعوب في طرح قرارات ومشاريع هامة، فإن السؤال الصعب يبقى هل سيستطيع الأفارقة الإفلات من واقعهم والانتصار على آلاف المثبطات التي تقف في طريقهم؟

سؤال لا أتصورأن تكون الإجابة عليه بالإيجاب، اللهم إلا إذا حصلت معجزة ما!

* كاتب وصحفي موريتاني